الفنان السوري محمد طليمات:

من التجريدية التعبيرية إلى الرمزية الطفولية

محمد يوسف ديوب*

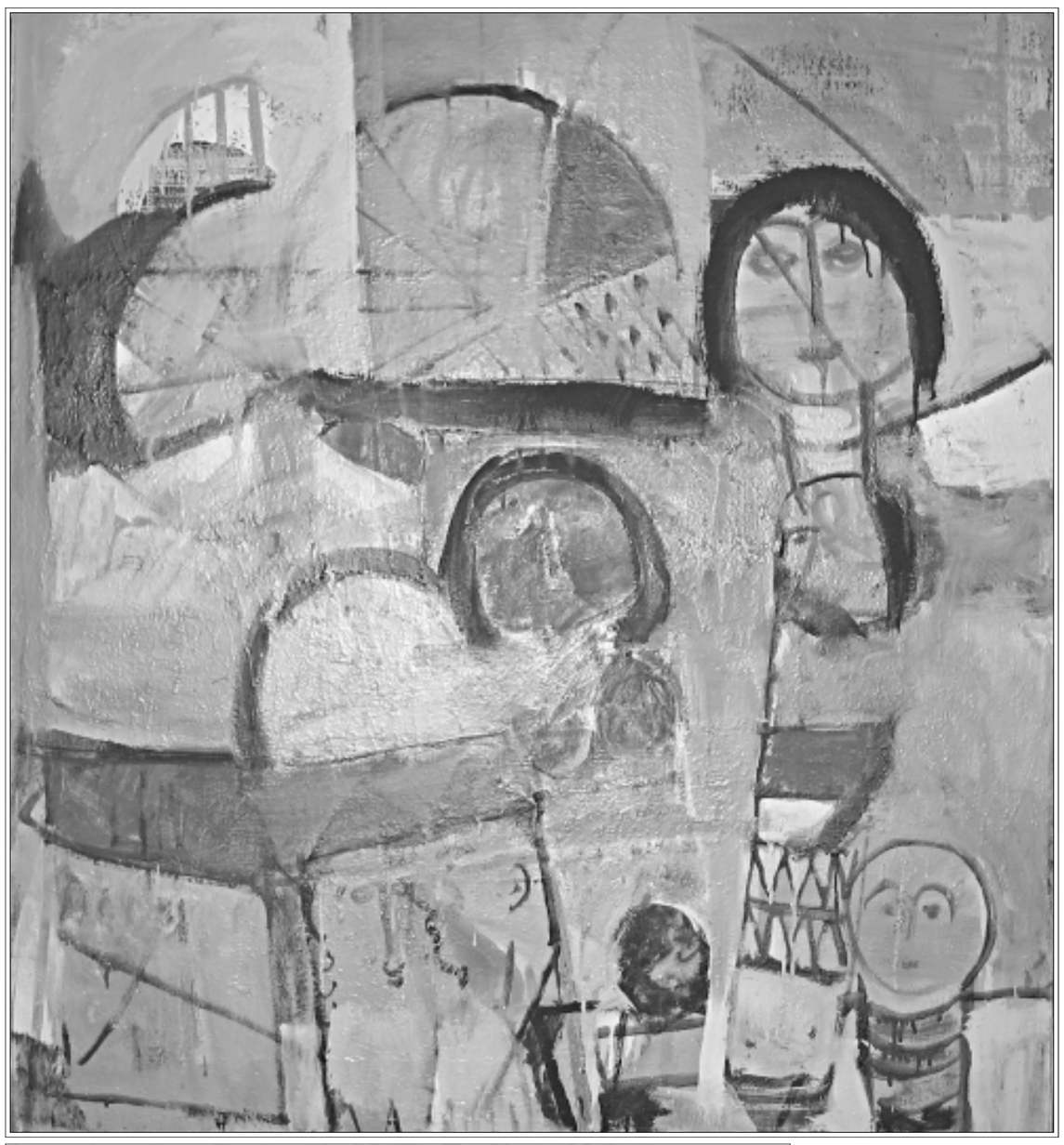

عملان للفنان (القدس العربي)

■ منذ أن عرّفني عليه نقيب الفنانين التشكيليين السابق في سورية قبل أكثر من عشرين عاماً بأنه من أهم التجريديين في سورية وكان محمد طليمات قد قرر إنهاء اغترابه في الكويت وهو أحد أهم المهندسين المنتمين إلى مسيرة الفن التشكيلي وخاصة في حمص عند ذلك كوّنت فكرة بمخيلتي عن أعماله قبل أن أشاهدها ودفعني فضولي بعدها للقيام إلى احدى اللوحات المعلقة له بمكتب رئيس النقابة في ذلك الوقت إلى جانب لوحات لفنانين منهم لبيب رسلان، وفاتح المدرس، كانت هناك لوحة له يغلب عليها اللون الأحمر تتخللها أجزاء من الأسود فلم أفاجأ بما أملته مخيلتي عن طبيعة أعماله، وبعدها كان هناك معرض جماعي شارك فيه بمجموعة من الأعمال كانت تضج باللون الأحمر والأسود، وعندما تغوص في تفاصيلها تجد نفسك بين تجريدية يشوبها حس تعبيري فهي لا يمكن أن تنتمي إلى التجريدية بالمطلق، ولا يمكن أن تأخذها بالاتجاه الانطباعي.

وكثرت معارضه وكنت أتتبعها حتى في اغترابي، إما من خلال المعارض الشخصية التي كان يقيمها بشكل دوري، في الصيف، أو من خلال المعارض الجماعية التي يشارك بها، فمن خلال تجاربه يمكن للمتخصص ان يستشف جدية البحث الفني، ويمارسه طليمات من خلال تفرغ للفن بنوع من الحيادية الفنية وعزل الفن عن أي شوائب بأن لا يحمّل اللوحة أي نصيّة أو أي بعد فكري فيتنقل بالهارموني التشكيلي ضمن مساحة المربع في اللوحة وأهم ما يجعل عمله مجرداً عن أي تأثير بابتعاده عن هاجس البيع الذي يمثّل المطب الأكبر لأهم الفنانين وهنا كان تصريحه في آخر لقاء لنا ويدعم له موقفه هذا إلى حد ما في الابتعاد عن هذا الهاجس ليكون أكثر حرية وانطلاقاً أمام لوحته.

لم تقتصر معارض الفنان طليمات على صالات العرض في سورية بل تعدتها إلى مدن عربية وأجنبية وقبل هذا المعرض كانت له محطة مهمة في نيويورك في معرض متميز فبذلك نستطيع أن نقول ان نشاط العرض لديه تعدى الإقليمية وتستحق أعماله أن ترتقي للعالمية فقد كسر من خلالها كل الحدود وخرج بها عن بوتقة المحلية، فهي من الشمولية بأن تخاطب متذوقي الفن على اختلاف توجهاتهم وثقافتهم.

و بمعرضه الأخير في صالة الشعب التقينا وكعادتي أتحدث مع الفنان الذي أريد أن أكتب عن أعماله بشكل غير مباشر لمعرفتي بخصوصية اللحظة التي أنتجت العمل، بعد أن وقفت مع بعض مشاهدي المعرض وتحاورت معهم عن التجربة الجديدة والتي أخذت في خصوصيتها عوامل طفولية مع عدم الخروج عن الحالة المجردة للعمل وبمعنى أن هناك نوعاً من التبسيط في المعالجة والتعمق في العمل الفني وانحياز لغته التشكيلية إلى حالة الطفولة الأم أي أننا في حالة من التركيز مع معالجة العمل إلى درجة من التعمق الشكلي إلى حالة من الطفولية المبسطة وهذه السمة تميز جيلاً من التشكيليين الأوائل وربما تدخل في سمة جيل ما بعد الرواد، وأهمهم إعلاميا فاتح المدرس الذي كان أكثر المعروفين في هذه المرحلة ولكن لا يمكننا أن نغفل مبدعين يأخذون هذه السمة بأهميته وإن لم يكونوا بشهرته لأسباب عدة أهمها الإعلام.. و ظروفهم.

لم يكن محمد طليمات بأقل من المدرس في رمزيته التي أخذته إلى حالة التعبير الطفولي والتي يمكننا أن ندرجها في إحدى خصوصيات ذلك الجيل الذي تفرعت منه مجموعة من السمات لفناني سورية فيما بعد.

ولا بد لي من التوقف هنا مع تساؤل.. بأن ما أوصل اللوحة إلى مرحلة من الرمزية الطفولية هي من الصعوبة أن يصلها أي فنان ببحثه التشكيلي فهي أسلحة ذات حدين وقع الكثير من الفنانين في مطبها، تجاوزها طليمات، ربما بتلك المصداقية التي عبّر عنها بتجرد مع دعم حرفي يتمتع به مع الخصوصية بالمعالجة والتعامل مع اللون أوصله إلى تفرد خاص باللوحة حاول كثير من الفنانين وصولها، والتجارب أكثر من أن تحصى أدخلوا بها عناصر طفولية كانت موفقة إلى حد ما أحياناً وكانت مقحمة في أحيان أخرى. أحببت الوقوف عند التجربة الأخيرة بهذا المعرض وسأبدأ بأولى ما استوقفتني من علامات فارقة للأعمال فلم تفاجئني المعالجة الرمزية وتناول العمل بأسلوب طفولي كثيراً ولكن الأهم هو الصراحة اللونية التي خرج بها طليمات لتحاور عين المشاهد من خلال إقحام لوحات تخرج من بوتقة الأسود والأحمر وتحمل سمة الحياد اللوني بدخول درجات الرمادي أو الخلفيات الفاتحة التي ربما يحضر بها الأصفر خجولاً ولكن تلك تكوّن خلفية العمل ويخرج الرمز الأساسي متمرداً على تفاصيلها، يساعد ذلك في إيصال ما يريده بذكاء بالمساحات التي يخصصها وتسعفه في ذلك ثنائيات من الأعمال ذات المساحة الكبيرة، ويعود في لحظات أخرى باعتماد المساحة المربعة الأصغر حجماً مرة بالأصفر الفاضح، ومرة يعود الأحمر والأسود يختلط بنوع من الحميمية على تناقض اللونين بالصفة فيكوّن بذلك نوعاً من الهارموني الخطير لأنه هنا يأخذ نوعاً من الرمزية الهادئة ودخول هذا التواتر اللوني أو بالتعبير الأكاديمي التباين الواضح بين المساحات وخطوط العناصر ربما يكون نوعاً من الإقحام ولكن يعزف هنا طليمات بحرفية ليخرج من المأزق ويحوله لصالحه في نقل المشاهد بشوق من لوحة إلى أخرى فتخرج من نزهتك بين اللوحات بمنظور وكأنك في لوحة واحدة تجزأت إلى معرض.

يمكننا تقسيم الأعمال في المعرض الأخير إلى مجموعتين مجموعة تنتمي إلى التكرارية غير الهندسية وإن بأسلوب ينهج للعفوية من خلال تعامل الفرشاة مع الخطوط المكونة لأشكال الأطفال المبسطة أما المساحات في هذه المجموعة فتكوّن الخلفية التي تتخللها الشخصيات بشفافية.

المجموعة الثانية تأخذ عناوينها من التعبيرية العفوية حتى من خلال المعالجة اللونية ومن خلال مرور الفرشاة بنوع من البساطة في التقنية لتقترب إلى طفولة في تمرير اللون إنْ من خلال الشخوص أو من خلال المساحات اللونية المكونة لأرضية العمل الفني، إذن هناك نوع من البحث الجديد وتبسيط بنائية اللوحة إلى حد ما لتسهيل الانتقال البصري للمتلقي إما من خلال اللوحة الواحدة أو من خلال التبصّر باللوحات ككل.

الملفت للنظر أيضاً وجود نوع من الانتقال بخلفية اللوحة تنتهي منها الأشكال ولكن هي بدرجة معينة تخرج من روح الأرضية لتكوّن نوعاً من التناغم المختلف تحرك بصرياً عين الناظر وتشير إلى استفهام يقود إلى نوع من الجدلية والتساؤل لتقوم اللوحة بأهم من كونها مجرد مساحة تتخللها الأشكال برتابة معينة.

وإنْ قدّم طليمات في هذا المعرض شيئاً آخر بنوع من التجديد ولكن لم يخرج من طابعه التشكيلي وشخصيته المسيطرة على العمل وإن كان قد بسّط في الشكل واللون إلى درجة كبيرة ولكن لم يخرج عن هويته الفنية ولم تخرج لوحته من سيطرة شخصيته فأتى بالجديد ضمن بوتقة هويته الخاصة فلم يثْقل بصرياً على الجمهور وإن أتى جديداً بنوع من الشاعرية التشكيلية بدغدغة الطفولة بالشكل ودعمه بذلك ما يستخدم من لون وبحث بالتقنية تميل أكثر فأكثر إلى تبسيط في الطرح في دخول جريء وواثق إلى السهل الممتنع.

* ناقد من سورية

عندما اعلن نجيب محفوظ تعبه من الحياة

عبد الرحمن مجيد الربيعي*

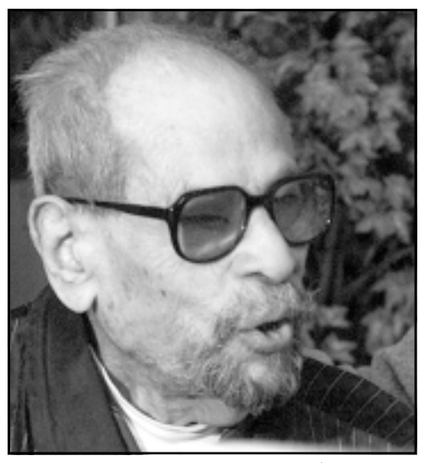

نجيب محفوظ

■ هل يمكم للمرء ان يتعب من الحياة فيتمنى مغادرتها؟ هذا السؤال قادني اليه حديث نقل عن الراحل الكبير نجيب محفوظ حيث عدد تعبه من اشياء كثيرة يعيشها ويعانيها فردد: تعبت من.. ومن.. واخيرا تعبت من الحياة!

اعتقد ان من يقول مثل هذا الكلام لا يتفوه به الا عندما يحس بانه ليس هناك شيء اراده ولم يحصل عليه، ولعلي هنا اتساءل: هل اراد محفوظ حقاً كل ما حصل عليه وعمل من اجل ذلك بالدأب النملي الذي لم يحد عنه؟

هل توقع نجيب محفوظ مثلا ان يكون اول عربي يحوز على اكبر جائزة في العالم للادب وعن الرواية دون غيرها من الاجناس الادبية والتي هي في المحصلة الاخيرة جنس ادبي غربي بمعزل عن محاولات بعض النقاد والباحثين في البحث عن جذور لفن القص في ادبنا العربي؟

ومن يعود لكلمته التي القيت نيابة عنه في احتفال تسلم الجائزة سيجد اعترافه وهو يخاطب لجنة الجائزة بانهم منحوها له عن فن ادبي تعلمناه (منكم) ويقصد هنا الغرب!

نجيب محفوظ كان كتوما على اشياء كثيرة في حياته ومنها زواجه واسرته. واذكر هنا ان المرحوم يحيى حقي روى في احدى رسائله لابنته ـ وقد كان رئيسا لمحفوظ ـ بانه ما ان ينتهي من العمل الرسمي حتى (يهرب) ولا يحبذ ان يوصله احد الى بيته، ولا يتحدث عن اسرته او يعطيهم رقم هاتفه فيحيى حقي كان متزوجا من سيدة فرنسية تحب التزاور ومشاركة زملاء زوجها المناسبات!

وقد روى يحيى حقي هذا بتعجب واستغراب، وبدا ذلك لمن قرأ الرسالة التي وردت في كتاب «رسائل يحيى حقي الى ابنته نهى» مع اعترافه بأهمية منجز محفوظ الروائي وكان يؤاخذه على تقمص دور الموظف المطيع، ويذكره بأنه كاتب كبير حتى يخفف من هذا الانضباط.

ربما كان محفوظ قد عمل من اجل هذه الجائزة ولكنه لم يبح بما اراد لاحد، ترك الامر بينه وبين نفسه وهو هنا على النقيض من آخرين، احدهم كان يوعز لبعض مريديه بتهيئة حملة اعلامية قبل اعلان الجائزة بانه اقوى المرشحين لها حتى اصبح الامر مسلمة لا تناقش، وعند اعلان اسماء الفائزين نجد هناك من يكتب: كان فلان اقوى مرشح لها!

ووجدنا كيف ثار القاص يوسف ادريس رحمه الله عند اعلان النتيجة وكتابته مقالات وادلائه بتصريحات نارية ضد محفوظ مشككا بقيمة اعماله مؤكدا وبنرجسية لا حدود لها انه المرشح الاقوى لهذه الجائزة وانهم اعطوها لمحفوظ لانه يؤيد كامب ديفيد ويستقبل المستعربين الاسرائيليين.. الخ.

نعم، لقد نال محفوظ الجائزة ولم يقل احد انه ليس جديرا بها بل كل ما قيل ان هناك من هم جديرون بها من معاصريه، وقالها هو بنفسه في تصريحاته بعد الجائزة وقبلها. وتمنى لو ان طه حسين او توفيق الحكيم او العقاد قد حاز عليها في حياته وكانوا من الاسماء التي يجري تداولها بقوة وترشيحهم قدم من عدة جامعات ومؤسسات ثقافية مصرية وعربية ومعهم اسماء اخرى من الشعراء خاصة، البياتي، ادونيس، درويش، نزار قباني.

اذكر وقتها ـ اي عام 1988 ـ انني كنت في بغداد التي هيأت نفسي لمغادرتها حتى اجل غير مسمى عندما جاءني هاتف من اذاعة مونت كارلو لأعطي رأيي بفوز محفوظ بهذه الجائزة. ولم اشك لحظة في ان الموضوع مجرد مداعبة من صديق. واعطيت رأيي واعتبرت ان الفوز هو فوز للرواية العربية كلها واعتراف عالمي بها من خلال عميدها، واقوال اخرى لا اتذكرها الآن.

وعندما وصلنا القاهرة بدعوة من رئاسة الجمهورية المصرية لحضور الاحتفال التكريمي لمحفوظ اعلمني الصديق الروائي يوسف القعيد ـ وهذا ما اسعدني كثيرا ـ ان اسمي مع اسمي جبرا ابراهيم جبرا وعبد الوهاب البياتي قد اشر عليهما محفوظ بنفسه لتوجيه الدعوة لنا عندما قدمت عن القوائم المقترحة لاسماء المدعوين. وجدنا امامنا عددا كبيرا من ادباء العالم عدا الادباء العرب وادباء مصر وكانوا سعداء الى ابعد حد وجاؤوا بأريحية عالية.

واذكر ان المحتفى به وعندما اخذ منه التعب مأخذه جلس في قاعة جانبية وهو يرتدي البدلة اياها الكورية الطراز او الصينية ـ لا ادري ـ بدون رباط عنق، واخذ يتلقى التهاني وهو جالس اذ لم تعد له القدرة على المطاولة في الوقوف.

كان من الحاضرين الكاتب الامريكي الملون اليكس هيلي صاحب رواية «الجذور» التي تحولت الى مسلسل شهير، وقد عرفته من خلال صوره التي مرت بي، ويبدو انه اراد استكمال احتفاله المحفوظي فتوجه نحو مقهى الفيشاوي الشهير الذي اقتطعت اجزاء منه وفقد وسامته الاولى التي كان عليها في روايات محفوظ، وهناك جلس وامامه «الشيشة» وهو ينفخ فيه بانتشاء ظاهر.

كانت تلك الايام الألذ، لنا نحوها حنين لا يُحَدّ.. بيننا وبينها ثمانية عشر عاما، ما اسرع جريان الزمن، بأي سرعة يجري بحيث يصبح العام وكأنه يوم واحد.

هل كان محفوظ ابن الخامسة والتسعين محقا عندما تعب من الحياة؟! ان كان كذلك فها هو في مستقره الاخير وقد نال راحته منها، عليه الرحمة!

اما الذين يقرؤون رواياته فستظل تؤرقهم اسئلتها! كأنه قام بتلغيم الارض بكلماته قبل انسحابه منها.

* كاتب من العراق

برعاية النائب د. أبو شهلا «مركز غزة للثقافة والفنون» يفتتح معرضا تشكيليا بعنوان «رتوش»

غزة ـ «القدس العربي»:

افتتح «مركز غزة للثقافة والفنون»، أمس، المعرض التشكيلي، بعنوان «رتوش»، وذلك في قاعة غاليري الميناء بغزة التابع لوزارة الثقافة وبالتعاون مع مؤسسة سعيد المسحال للثقافة والعلوم.

وذلك بحضور النائب في المجلس التشريعي د. فيصل أبو شهلا راعي الحفل والفنان التشكيلي فايز السرساوي مدير عام العمل الأهلي بوزارة الثقافة والكاتب المبدع توفيق أبو شومر وسمير المسحال مدير عام مؤسسة المسحال وأشرف سحويل رئيس مجلس إدارة مركز غزة للثقافة والفنون وحشد كبير من المثقفين والمهتمين. وبدأ الاحتفال بالوقوف دقيقة صمت وقراءة الفاتحة على ارواح الأكرم منا جميعاً الشهداء ورحبت بالحضور عريفة الحفل تغريد بليحة.

وقال د. أبو شهلا انها مبادرة رائعة من مركز غزة الذي يحاول أن يخلق حالة فنية ثقافية في غزة رغم حالة الانتكاس والركود التي يعيشها قطاع غزة في العمل الثقافي جراء الأحداث التعسفية والحصار الذي يمارسه الاحتلال الإسرائيلي ضد أبناء شعبنا وسيظل هذا الجهد وهذا الإنجاز. في وقت الحصار والجوع يكون الفن قائداً ورائداً لكل من شارك وأعد وساهم في هذا المعرض. وأكد على دور الثقافة في بناء المشروع الاجتماعي والثقافي كرؤية مستقبلية تتعلق بالمشهد الثقافي والفني بكل تحولاته وتداعياته.

وأكد الفنان التشكيلي السرساوي على أهمية ودور المراكز الثقافية بالنهوض بالمشهد الثقافي بقطاع غزة ودعا الجميع إلى تحمل المسؤولية للنهوض بالعمل الثقافي في فلسطين رغم كل الظروف الصعبة التي يعيشها شعبنا في ظل الحصار والجوع.

وقال سحويل: «ان هذه الفعالية تأتي تتويجاً للمساهمة في إعداد جيل جديد يتطلع دائماً إلى العطاء في كافة الميادين»، وأضاف أن المعرض هو نتاج لدورة تدريبية متخصصة في التصوير الزيتي والرسم بأقلام الفحم استمرت على مدار ستة أشهر بمشاركة عدد من هواة الفن التشكيلي، واشتملت على العديد من الموضوعات في مجال الفنون التشكيلية بالناحية العملية والنظرية، وتتناول استخدامات تقنيات أقلام الفحم والاسكتشات السريعة والطبيعة الصامتة وفنون البورتريه واستخدامات الألوان الزيتية.

وأشار سحويل إلى أن هذه الدورة، تأتي نتيجة جهود المركز في الحقل الثقافي، الذي يعتبر من أهم مجالاته في سياق إكمال برنامج الفنون التشكيلية في المركز، والذي سبق أن نفذ العديد من الدورات في هذا المجال إلى جانب العديد من البرامج المتخصصة التي ينفذها المركز في مجال السينما والأدب. وفي ختام الحفل قام ضيوف الشرف بتوزيع الشهادات على المشاركين في الدورة كما تم توزيع شهادات الشكر والتقدير للذين ساهموا بإنجاح هذه الفعالية وهم منتدى البريج الثقافي ومؤسسة المسحال للثقافة العلوم والمدرب محمد جبر وغاليري الميناء ـ وزارة الثقافة.

قص

في الترانزيت

رشاد أبوشاور

■ عبرت الى الترانزيت، شرطيان يقفان لصق الباب الزجاجي الموارب،نظراتهم تتركّز على وجوه وحركات المسافرين المحشورين في قاعة زجاجيّة.

المسافرون يتأملون بشيء من التوتّر الطائرات الجاثمة على أرض المطار.

في باب الدخول إلى القاعة يدقق رجال ونساء الشرطة جوازات المسافرين، يمرّرون على أجسادهم الآلة الكاشفة التي تشبه مغرفة كبيرة، حول الفخذين، والإليتين، وهي تصدر صوتاً: وزززز...

أنا متوتّر.

أفكّر في الطائرة التي سندخل في جوفها، ونجلس صامتين وهي تقلع، أو مميلين رؤوسنا إن كنّا نعرف بعضنا، متهامسين، متشاغلين عن قلق الإقلاع إلى أن تأخذ الطائرة سمتها وتستقر في طيرانها المطمئن، إلاّ إذا ارتبك طيرانها بمطبّات تذكّر المسافر بأنه معلّق بين الأرض والسماء.

جلست على طرف مقعد عريض، ووضعت حقيبة السفر اليدويّة التي تمنح المسافر هيبةً، في حين ان حقيبتي ليس فيها غير عدّة الحلاقة، ومعجون وفرشاة أسنان، وبطاقات بريدية اشتريتها لأحتفظ بها ولا أرسلها لأحد، وسيديّات موسيقى وأغان يونانيّة، ورواية لم اقرأ منها سوى صفحات قليلة، وكتاب كيف تتعلّم اليونانيّة بدون معلّم. (كلّما سافرت إلى بلد أحتاط بكتاب من تلك السلسلة: تعلّم اللغة (...) في أسبوع).

وجدتني أتأمّل الأجساد شبه العاريّة في موسم الصيف، إذ نحن في شهر آب...

سرر الفتيات الشابّات ـ لت نفسي لأنني لم أزر مدينة (سرّ من رأى) رغم كل مشاركاتي في مؤتمرات ولقاءات أدبيّة وسياسيّة قبل حرب التدمير ـ تنكشف مع كل انحسار للقميصة الصغيرة كلسان عصفور، بحركات عفوية، أو مقصودة مغوية...

هاته النسوة بقاماتهن الفارهة، المسافرات وحيدات، إلى أين يسافرن؟ من ينتظرهن؟ مع من قضين أوقات ممتعة وسبحن في شواطئ كريت؟!

تلفت انتباهي بنت بشعر أجعد، بنت تشبه (نعمة)، سمراء، نحيلة، شعرها أجعد، دائبة الضحك. إثر كل همسة مع صاحباتها، أو قريباتها، تنحني، وتهزّ رأسها، يداها تقلبان الأغراض في الأكياس، ثمّ تكف فجأةً عن الضحك، ويبدو عليها وكأنها ليست تلك الفتاة المرحة التي كانت تضحك جذلى قبل قليل...

ثمّة تلك الفتاة السوداء كالأبنوس، فخمة الجسد، عريضة المنكبين،شفتاها رقيقتان، وعيناها زرقاوان، و.. ثمّة فتى أشقر يهمس في أذنها بين فينة وأخرى فتنظر إليه بدلال وتمرر يدها على شعره الأشقر الغزير الطويل المنسدل على كتفيه..يا إلهي ! أين التقيا، وتعارفا، وتحابا؟

لا بدّ أنها ترقص رقصاً مثيراً بهذا الجسد الأفريقي..ال...

سوداء بشعر ناعم أسود غزير ينسدل على منكبيها وظهرها، بعينين زرقاوين ! أبنوس وبحر، و..جسد هو الغابة بكل أسرارها، ورهبتها، و...

وجدتني أصيح مثل طرزان، فإذا برجال الشرطة يركضون صوبي. أدركت أنني وضعت نفسي في موقف محرج، غير مفهوم، وغير مبرّر لهؤلاء القوم خاصة في ظروف استثنائية منذ أحداث الـ11 من سبتمبر...

وضعت يدي على صدري، ثمّ أخذت في التلوّي كما لو أنني أعاني من ألم قاهر،ثمّ بيدي طمأنت من تحلّقوا حولي، وبخاصة رجال الشرطة والأمن، بأنني أعاني من حالة صحيّة اعتدت عليها، فتأملوني بشيء من التوجّس بسبب سماتي الشرقيّة جداً (رغم التشابه بيننا وبين اليونانيين) !.

لمّا رفعت رأسي، التقت عيناي بعيني تلك الفتاة التي تشبه (نعمة) إبنة جيراننا التي رحلت مع ذويها وانقطعت أخبارها عنّي أنا صاحب شقيقها (عبد المنعم). ابتسمت مع هزّة رأس خفيفة كأنها تقول لي: ما فعلته مكشوف، فـ...ابتسمت لها، وداريت فمي براحة يدي وكأنما أعاني من ألم لا سبيل للتخلّص منه.

فتح باب مغادرة (الترانزيت)، فاندفع المسافرون إلى (الحافلة)، ثمّ هبطوا متزاحمين، واندفعوا كأنهم في سباق، وكل واحد يبذل جهداً لصعود سلّم الطائرة بأكياسه، وحقيبته الثقيلة غالباً والمحشوّة بوزن لا يقل عن وزن تلك الحقيبة التي شحنت في بطن الطائرة.

الرحلة من (كريت) إلى (أثينا) قصيرة، وهناك في مطار (أثينا) سيتوزّع المسافرون مع ذكريات الصيف والبحر...

وأنا أمرّ بمقعدها، همست لها بالعربيّة:

ـ كيفك نعمة، وين هالغيبة؟!

هزّت رأسها بشعره الأجعد الفوضوي، ثمّ أطلقت ضحكة وهي تتأمّل ملامح وجهي.

سألتني باليونانيّة:

ـ ماذا تقول؟

أجبتها بكلمات يونانيّة قليلة تعلّمتها من كتاب تعلّم اليونانيّة بدون معلّم، ومن الأسبوع الذي قضيته في مدينة (هاينا) الكريتيّة:

ـ أنت جميلة، وآه لو التقيتك في مدينة (هاينا) !

دفعتني المضيفة بلطف وحزم كي أفتح الطريق للمسافرين، فاستجبت، ومضيت إلى مقعدي، وأنا أتمنّى لو كنت أجلس قريباً من تلك الفتاة التي لا أدري ماذا جذبني لها...

لما فككت الحزام، وتوجهت إلى (الحمّامات) تطلّعت من فوق الرؤوس باحثاً عنها، وإذ رأيتها رفعت يدها وحركت أصابعها، ثمّ عادت وأخفت جسدها في مقعدها...

انتهت الرحلة بسرعة بين (كريت) و(أثينا)...

وأنا أتجه إلى (الترانزيت)، وهي تتجه إلى بوابة الوصول لأثينا، لمحتها بين ذويها، ناديت عليها:

ـ نعمة..يا نعمة.. آه لو التقينا في (هاينا)!

ضحكت، ورفعت يدها عالياً، وعزفت بأصابعها على الهواء تلويحة وداع لا لقاء بعده...

آه لو تعرّفت بها، لو عرفت اسمها، لو تمددت وإيّاها على رمال شاطئ مدينة (هاينا)، تلك التي بناها العرب قبل مئات السنين، عندما كانوا لا يسافرون بالطائرات...